

مدينة عيل بور: قاعدة للجهاد



هذا المقال ترجمة لمقال نشره أبو مريم باللغة الأنجليزية بعنوان " مدينة عيل بور: قاعدة للحهاد".

بعد سـقوط سـياد بــري والحــرب الأهليــة اللاحقــة، قامــت إثيوبيــا بتقيــيم مخــاطر ومكاسـب غــزو الصــومال وإمكانيــة نهــب المــوارد غيــر المحميــة. في مــارس 2014، غــزت عيــل بـــور (بلــدة في وســط الصــومال) لتخــدم مــا يســمى بــــ "الحــرب العالميــة على الإرهــاب" والتــي منحــتهم وصــولاً غيــر مقيــد وتفويضًــا بالقتــل تحــت ســتار الإرهــاب. ســارعت خدمــة بــي بــي ســي الصــومالية إلــى البـث: "قــوات الشــباب تفقــد قاعــدة عيــل بــور الصـــومالية" كانــت الحكومــة الصـــومالية ومســـؤولو أميصــوم في حالــة انتصــار في ذلك الوقت، وتوقعوا نجاحًا أوسع في هزيمة الشباب.

في الواقع إثيوبيــا تعــرف الشــباب، فقــد اعتــرف ملــس زينــاوي، رئــيس الــوزراء الإثيــوبي الســابق المتــوفى، بأنــه قــد اســتخف بتفــاني وقــدرة المجاهــدين، في إشــارة إلــى حــرب الشــباب الإثيوبيــة التــي اســتمرت حــوالي ثــلاث ســنوات. لــذلك، كــان وصــولهم إلــى عيــل بــور مجــرد تحــدٍ مــن عــدو مــألوف، لكــن الإزعــاج كــان يكمــن في إعــادة تــوطين الأخــوات وكبار السن والأطفال على وجه الخصوص.

بعـد أن شـهدنا أحـداثًا مماثلـة، لـم يكـن تطـور الوضـع صـدمة كبيـرة لسـكان عيـل بـور الــذين أفرغــوا المدينــة؛ لقــد هــاجروا إلــى أمــاكن لــم تضــمن لهــم بالضــرورة الحاجــات الأساســية، لكنهــا وفــرت لهــم مــلاذاً لعقيــدتهم. اســتقروا في القــرى التــي تقــع داخــل الأراضــي التقليديــة لقبــائلهم. أصــبحت لاهــيلاي مســتوطنة مكتظــة بالســكان للوافــدين الجــدد الــذين امتــدوا إلــى أبعــد الحــدود؛ أعطــت المســاكن الجديــدة والمســاكن القديمــة البسـيطة المدينــة مظهـرًا ملونًـا. كانــت الحيــاة تتقــدم بــبطــء في لاهــيلاي، فعلــى الــرغم

مــن كونهــا قريـــة صــغيرة، إلا أنهــا لعبــت دورًا كبيــرًا في إمــداد الســكان بالإثــارة والمــدارس وما إلى ذلك، لكنها لم تستطع تعويض الشوق إلى عيل بور.

على الــرغم مــن أن الأولويــة كانــت الحفــاظ على الــدين، إلا أن إحساســهم باليقظــة واللياقــة كانــا دروسًــا مكتســبة مــن الصــراعات القبليــة المــدمرة، ممــا مــنحهم الســرعة لإعــادة تموضـعهم في مكــان آمــن. تعتبــر الاشــتباكات القبليــة جــزءًا مــن حيــاة البــدو الرحل، ومثل البركــان، يمكـن أن تنــدلع في أي وقــت قــد تتحــول إلــى حــرب شــاملة. يمكـن أن يحــدث ذلــك بســبب الجــدل حــول بئــر المــاء أو على المراعـــي، وعلى الــرغم مــن ذلـك، يحــافظ الســكان المحليــون على نمــط حيــاة منــتظم. المــوت لا يخــيفهم. في الواقــع، لقد ســعوا وراء ذلـك عنــدما يُســاء معاملــة أحــد أفــراد القبيلــة، والغريــب أن العــرف القبلــي نفســه -الــذي يشــجع على إراقــة الــدماء بشــأن الأمــور التافهــة - يتطلــب أيضًــا -بلباقــة المصــالحة لاتفــاق زعمــاء القبائـــل في العــام الــذي مضـــى - نســيان ضــغائن المــذابح الماضية وسيادة السلام بما يكفى لإلقاء الأسلحة حتى اشتعال الشعلة التالية.

قضـــت الشـــريعة الإســـلامية على نظـــام الطبقـــات القبليـــة مـــن خـــلال اســـتبدالها بالمســاواة، وبالتــالي تمــت معالجــة الخلافــات القبليــة بآيــات قرآنيــة. تضــاءل العنــف وانتشــر الشــعور بــالأخوة في جميــع أنحــاء المجتمعــات التـــي كانـــت ذات يــوم موضـع غارات لا نهايــة لهــا. في الإســلام، الــدفاع عــن الــنفس مســموح بــه بشـكل مبــرر بــافتراض اســـتيفاء جميــع الشــروط المســبقة ولكــن المفهــوم هـــو إعــادة جميــع المظــالم إلـــى المحكمــة الشــرعيـة لتجنــب الانتقــام المنــدفع الــذي يخــدم دوافــع ذاتيــة فقــط. كــان الانتقــال مفاجئًـا وبسـيطًا، والخطــة ليســت تعكيــر صــفو الحيــاة القبليــة التقليديــة ولكــن ببســاطة الـــتخلص مــن المفــاهيم التـــي لا تتماشـــى بالضــرورة مــع الإســلام. بعـــد أن الســتوعبوا روح الشــريعة، تعهــدوا بدراســتها والــدفاع عنهــا، ومــا كــان مجــرد محاولــة الســتوعبوا روح الشــريعة، تعهــدوا إلــى قاعــدة للجهـاد. لقــد فهمـوا عميقــا الــولاء والبـراء

يقينا، (يَا أَيُّهَـا الَّــذِينَ آمَنُــوا لَـا تَتَّخِــذُوا الْيَهُــودَ وَالنَّصَــارَىٰ أُولِيَــاءَ ٱ بَعْضُـهُمْ أُولِيَــاءُ بَعْـضِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

كــان الإثيوبيــون قــد اســتقروا في مخــابئ عميقــة محاطــة بجــدران بأكيــاس الرمــل في الوســط وحــول المدينــة لحمايــة أنفســهم مــن أي هجــوم قــادم، وخــلال إقــامتهم في عيل بــور، كــان هنــاك الكثيــر مــن ذلـك. كانــت المدينــة فارغــة تمامًــا باســتثناء صــفير ريــاح أحاطــت بالمنـــازل غيـــر المأهولــة. على الــرغم مــن أن الإثيــوبيين كــانوا خــائفين مــن السكان المحليين، إلا أنهم كانوا بحاجة إليهم لإجبارهم على التراجع.

انســحبت القــوات الإثيوبيــة في 3 أبريــل / نيســان 2017 خاليــة الوفــاض مــن مدينــة عيــل بــور متجهة نحو قريــع. وقــال عمــدة عيــل بــور الســابق جوتــالي:" لــم تتحقــق رؤيــة الغــرب للديمقراطيـــة، على الأقــل في عيـــل بـــور". لا يعنـــي ذلــك أن أهـــل عيـــل بـــور يعارضــون التطـــورات الصـــحيـة ولكـــن يجـــب أن تكـــون جميـــع الإصـــلاحات في ســـياق ثقـــافتهم ودينهم، وليس عن طريق القوة العسكرية.

كــان هنـــاك ابتهـــاج وهتافـــات مــع انتشـــار الخبـــر. مـــلأت أصـــوات إطـــلاق النـــار الهـــواء، والأهـــازيج، واســـتيقظ القرويـــون في فرحـــة لإحيــاء ذكـــرى عـــودة المدينـــة المفقــودة. ردد المشــهد الفــرح والحريــة والتحــدي للقمــع. بحمــد اللــه ســبحانه وتعـــالى، لــم يكــن حــب الراية الســوداء مخفيـًـا أو ضعيفًا بــين الأنصــار بينمــا كنــا نســير في جميــع أنحــاء المدينــة. فالأنصــار معروفــون ببطــولتهم وكــرم ضــيافتهم وإكــرامهم لإخــوانهم المجاهـــدين، وهـــم حقاً حاملو راية الأمة.

كانت عيل بور آنذاك مدينة أشباح. كانت جميع المنازل تقريبًا بحاجة إلى صيانة، كما أن الفضلات والأشجار الشائكة القصيرة كانت مزدحمة للغاية بجميع الممرات. والمخيف أن أثاث الأسر وجميع أدوات المطبخ تقريبًا كانت مفقودة من كل منزل يُفترض أن الإثيوبيين نهبوه. كانت بقايا وجودهم في كل مكان. لقد تناثرت

زجاجـــات الخمـــور، والملاجـــئ المؤقتـــة المنهـــارة، والعلـــب الفارغـــة في المخـــابئ، ممـــا يشـــير بوضـــوح إلـــى المهمـــة الشـــاقة التـــي كـــان الســـكان المحليـــون يواجهونهـــا في تنظيف المدينة.

لقد قمت مؤخرًا بزيـارة عيـل بــور، وفقـدت فــور وصــولي شــبح الماضــي غيــر الســار. البلــدة ملونــة، التصــميم الهيكلــي بالكــاد يشــبه تصــميم عــام 2017، ولــم يبــق على حالــه ســوى الراية الســوداء. كــان الاقتصــاد المحلــي في حالــة انخفــاض طفيــف بـسـبب الجفــاف ولكــن في الســـوق، كـــان العــرض والطلــب في حالــة تـــوازن بشــكل معقـــول. البـــازار الرئيســـي ملـــيء بالمتــاجر الصــغيرة التـــي تعــرض ملابــس متعــددة الألـــوان للبيــع، حيــث تتجــول النســاء المحجبــات لتقيــيم البضــائع قبــل تحديــد الصــفقة النهائيــة للشــراء. كــان الباعــة المتجولــون يشــيدون ببضــائعهم بعبــارات جذابــة يــأملون في التوصــل إلــى صــفقة بيــع، وجلـــس الصـــرافون تحــت الظــل ينــادون المــارة، وعربــات الحميـــر المحملــة بالبضــائع تتقاســم الشـــوارع مــع المتســوقين الــذين كــانوا يتحركــون في جميـــع الاتجاهــات. كــان هنــاك هناك صــدى دائــم "الســـلام عــلــيكم ورحمــة اللــه وبركاتــه" تحــت ضـجيج الســـوق، وحركــات النــاس لا تــوحي بالعجلــة. على الــرغم مــن أنــك تــزور الســوق عـــدة مــرات، إلا أن هنـــاك فضولًا آسرًا يضغط عليك للتجول، والاستفسار عن مادة مألوفة دون نية شرائها.

تساءلت عـن مصـدر قـدرتهم على التحمـل، وإحساسـهم برباطـة الجـأش الـذي أعطـاهم اتجاهً واضـحًا، وعــزمهم الــذي لا يتــأثر بسـهولة بإخفـاء مفاجـأة الحيــاة المتــواترة. في المقهــى، كانــت الموضـوعات الســائدة تــدور حــول الجفـاف، والأمــل في هطــول الأمطــار، ومــوت الحيوانــات بســبب نقــص المراعــي، والمثيــر للدهشــة أن الغــزو الإثيــوبي لــم يـُــذكر أبــدًا، ولا حتــى آثــار العواطـف التــي أشــارت إلــى الحــدث. في المســجد، يتلاقــى رجــال مــن مختلــف الأنســـاب القبليـــة لأداء صـــلاة الجماعـــة الـــذين عزمـــوا مـــؤخرًا على الانتقــام، ووقفــوا كتفًــا كتـف في صــف واحــد خلـف إمــام في هــدوء، بــاحثين عــن الوحــدة تحــت ظل الشربعة.

الهدف مـن العقيـدة الإسـلامية هـو نقـل البشـرية إلـى وجـود روحـي أعلى مـن خـلال مبـادئ توجيهيــة تتوافــق مـع التصـميم الفكــري والبيولــوجي، ولا تلبــي معاييرهــا ولا تقيد الرغبات الدنيويــة مثـل الجشـع والشـهوة ومـا إلـى ذلـك إلا بـالتقوى، فهــي تتلاشــى في الــنفس. وتغلـب الجنــاة في أدنــى مســتوى. وبالمثــل، فــإن إحياءهــا بشــكل خطيــر يحتــاج إلــى شــريان الحيــاة. ويتنــامى الشــوق إلــى الأخــوة بــين المســلمين على نطــاق واســع تحــت الرايــة الســوداء ويتــألق في الصــومال. يواجــه المجرمــون الــذين يحــاربون اللــه تعــالى، والنبــي صــلى اللــه عليــه وســلم، والمؤمنــون مصــيرا رهيبــا، ﴿... وَأَرَادُوا بـــه كَيْــدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأُخْسَرين﴾ لقد هرب الإثيوبيون من عيل بور ساخطين.

أبو مريم

